الفصل الثالث

إشكاليات الجهاد.. التمركز الغربى حول الذات

الفصل الثالث

إشكاليات الجهاد .. التمركز الغربى حول الذات

إزاء النجاح الكاسح للإسلام سياسيا وحضاريا فى فتح كثير من الأمم التى كان أغلبها يدين بالمسيحية أو يقع تحت تأثيرها على الأقل، نما فى الوعى الغربى نوع من الخوف إزاء هيمنته الحضارية التى فرضت نفسها على نحو الألف عام من التاريخ. كما تولد لديه شعور بالدهشة إزاء السرعة التى تم بها هذا النجاح، فأخذ يفتش عن كل الأسباب "الهامشية" الممكنة التى تفسر له هذا الصعود بعيدا عن السبب الوحيد الأصيل الكامن ــ فى تصورنا ــ فى البساطة العبقرية للإسلام ورؤيته الواضحة إن لم تكن شبه الهندسية للوجود. ومن ثم بدأ فى وصم الإسلام بـ "العنف" أو الدموية، وهى التهمة التى لا يتوقف العقل الغربى عن توجيهها الى الإسلام منذ بدأ الجدل البيزنطى مع الإسلام فى القرن الثامن الميلادى، وحتى محاضرة البابا الكاثوليكى بنديكتوس السادس عشر قبل أشهر، مرورا بتراث هائل من التحيزات الدينية والعنصرية بامتداد قرون عشر أو ربما أكثر. وفى هذا السياق يصبح السيف، ودموية محمد "ص" هما سبب انتشاره فى المبتدأ، والإرهاب هو مظهر عدوانيته فى المنتهى. وهنا يتم الربط بين القرن الثامن الميلاد، والقرن العشرين ببساطة شديدة وعبر تـويلات وإستنتاجات لا تاريخية وتفتقد بشدة الى الموضوعية.

وإذا ما أخضعنا القضية برمتها إلى المنطق التاريخى كان علينا أن نتساءل بداءة كيف يتمكن رجل واحد من أن ينشر دينا كاملا، يخلو من عناصر الجذب والإلهام، فى عالم واسع الأرجاء بالسيف وحده، وكيف بدأ هذه العملية أصلا وهو لا يزال وحيدا فى مواجهة العالم لو لم يكن نبيا حقا صادق العزم، ولو كانت رسالته جاذبة وملهمة، وكان مؤيدا من خالقه العلى القدير؟... فعندما بدأ محمد الدعوة إلى الإسلام كان فردا أعزل من كل شىء، لا مال معه يأتى بالسلاح، ولا رجال معه يحتمى بهم، وأول الغيث فى الإسلام كان خديجة،

"امرأة" ربما كانت غنية، ولكن لا حول لها ولا قوة فى مواجهة قريش كلها. ورغم عزتها فى قومها فقد اضطرت إلى الحياة فى شعب أبى طالب بمكة نحو الأعوام الثلاث بعد مقاطعة مكة لمحمد. ثم كان ثانى الغيث على ابن عم الرسول الذى كان صبيا لا يزال فى مقام الابن منه، ثم المولى زيد بن حارثة الذى لا يملك من أمر نفسه شيئا، قبل أن يتوالى إسلام الصحابة بعد إسلام الصديق أبى بكر. وحتى بعد إسلامهم، فلم يكن عددهم قد بلغ الأربعين فى نحو ثلاث سنين من الجهر بالدعوة، وقد ظلّوا ضعافا الى الدرجة التى كانوا لا يستطيعون معها الاجتماع معا فى العلن، بل كانوا مضطرين الى الاختفاء ليلا بدار الأرقم بن أبى الأرقم على جبل الصفا. وحتى هذا الوقت كان من الممكن استئصالهم بسهولة لو فقدت قريش مروءتها، أو إذا ضعفت حماية أبى طالب وبنى عبد المطلب لهم، إلا أن عناية الله بدينه ــ لا السيف ــ هى ما حالت دون هذا أو ذاك، حتى تبدت دعوة الإسلام يوما فيوما أكثر إقناعا وجذبا، وإذا بآيات القرآن تتنزل ويتلوها محمد على صحبه فيزدادون اقتناعا، ويزداد المشركون حيرة ثم إعجابا، بل وانجذابا الى الإسلام كما تروى كتب السيرة عن إسلام عمر ابن الخطاب تحت تأثير حلاوة القرآن وطلاوته اللتين اعترف بهما حتى المشركون المنكرون للنبوة، ولكن غرورهم أبى إلا أن يردوهما الى السحر والكهانة وما كانت هذه أو تلك بل كانت قوة الوحى وعميق الصدق الذى أخذ بلباب الرجل القوى عمر فأذاب قوته فى روحانية شماء، وإيمان قوى لا يزيغ.

وهذه قصة إسلام عمر بن الخطاب.. خرج بالسيف ليقتل محمداً ولم يخرج عليه أحد من المسلمين بسيف، وقرأ صدراً من سورة طه ليس فيه ذكر للخمر والنعيم وهو: "طه، ما أنزلنا عليك القرآن لتشقي، إلا تذكرة لمن يخشي، تنزيلا ممن خلق الأرض والسماوات العلي، الرحمن على العرش استوي، له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى، وأن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفي". وبعد أن سمعها من أخته وزوجها اللذين أراد أن يقتلهما، قبل أن يتجه الى محمد قاتلا، إذا به يحنو عليهما، ويذهب الى محمد أيضا.. ولكن مسلما لا قاتلا. لقد كان الإسلام من الضعف السياسى والحربى آنذاك الى الدرجة التى أعتبر معها إسلام عمر فتحا للإسلام الذى دخله لأول مرة أحد فرسان قريش الأربع الأقوياء الذين طالما منحوها الأمن والسيادة

والنصرة على الأعداء. كان عمر أولهم بقدر ما كان أمنية الرسول الكريم ليعز به الإسلام، وكان حمزة ثانيهم هو أحد أبطال موقعة بدر التى لولاها ما كان الإسلام، وأحد ضحايا موقعة أُحد أخطر كبوة فى حياة الإسلام. وكان خالد بن الوليد ثالثهم الذى لم يسلم إلا بعد صلح الحديبية والإسلام يؤذن بالسطوع، وأما الرابع فلم يسلم بل مات كافرا وهو عمرو بن هشام "أبى جهل". فلم يولد الإسلام إذن تحت السيف بل رغم السيف، ولا ينتصر على السيف سوى عقيدة أخّاذة نقية متوهجة قادرة على أن تقنع المؤمن بها بأن الموت فى ظلها أفضل من الحياة بدونها.

هذه العقيدة الأخاذة، لا سيف محمد "ص" هى التى جعلت المسلمين الأوائل ينفرون في سبيل الله خفافاً وثقالاً، ودفعتهم الى أن يخرجوا مع رسوله لقتال العدو غير هيابين للموت. ولم يزل الانقياد والطاعة من جنود "الحب" المتطوعة فلما أحب القوم محمدا "ص" بكل قلوبهم أطاعوه بكل قوامهم، ويمثل ذلك خير تمثيل ما قال سعد بن معاذ عن نفسه وعن الأنصار قبل بدر: "إنى أقول عن الأنصار وأجيب عنهم فاظعن حيث شئت وصل حبل من شئت واقطع حبل من شئت وخذ من أموالنا ما شئت وأعطنا ما شئت وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت وما أمرت فيه من أمر فأمرنا تبع لأمرك، فوالله لئن سرت حتى تبلغ البرك من غمدان لنسيرن معك، والله لئن استعرضت بنا هذا البحر خضناه معك".[1]. وهكذا كان الإسلام، وكان المسلمون الذين ظلّوا حتى بدر: "يتعرضون لسيوف المشركين ولا يُعَرِّضون أحدا لسيوفهم، وكانوا يلقون عنتا ولا يصيبون أحداً بعنت، وكانوا يخرجون من ديارهم لياذا بأنفسهم وأبنائهم من كيد الكائدين ونقمه الناقمين ولا يخرجون أحداً من داره. فهم لم يسلموا على حد السيف خوفا من النبي الأعزل المفرد بين قومه، المغضوب عليه، بل أسلموا على الرغم من سيوف المشركين ووعيد الأقوياء المتحكمين .. ولما تكاثروا وتناصروا حملوا السيف ليدفعوا الأذى ويبطلوا الإرهاب والوعيد، ولم يحملوه ليبدأوا أحدا بعدوان أو يستطيلوا على الناس بالسلطان"[2].

وحتى عندما حارب الإسلام فى بدر، فأنه لم يحارب بالسيف فكرة يمكن أن تحارب بالبرهان والإقناع، ولكنه حارب بالسيف "سلطة" تقف في طريقه، وتحول بينه وبين أسماع المستعدين للإصغاء إليه. لأن السلطة تزال بالسلطة،

ولا غني في إخضاعها عن القوة.. "ولم يكن سادة قريش أصحاب فكرة يعارضون بها العقيدة الإسلامية، وإنما كانوا أصحاب سيادة موروثة وتقاليد لازمة لحفظ تلك السيادة في الأبناء بعد الآباء، وفي الأعقاب بعد الأسلاف .. وكل حجتهم التى يذودون بها عن تلك التقاليد أنهم وجدوا آباءهم عليها، وأن زوالها يزيل ما لهم من سطوة الحكم والجاه. ولذا فعندما أراد النبى نشر الإسلام خارج الجزيرة العربية فإنه قصد بالدعوة عظماء الأمم وملوكها وأمراءها لأنهم أصحاب السلطة التى تأبي العقائد الجديدة، وقد تبين بالتجربة بعد التجربة أن السلطة هى التى كانت تحول دون الدعوة المحمدية وليست أفكار مفكرين ولا مذاهب حكماء، لأن امتناع المقاومة من هؤلاء العظماء والملوك كانت تمنع العوائق التى تصد الدعوة الإسلامية، فيمتنع القتال."[٣]. ومما يؤكد على ذلك أن جميع الفتوحات الإسلامية التى تمت بعد رحيل محمد "ص" إلى الرفيق الأعلى دارت كل معاركها ضد جيوش القوى العظمى التى استعمرت الشرق لعدة قرون – الفرس .. والروم – ولم تحدث معركة واحدة بين جيوش الفتح الإسلامى وبين أهل البلاد التى فتحها المسلمون. بل إن أهل هذه البلاد قد ساعدوا الجيوش الإسلامية بالدعم المادى والمعنوى، وأحياناً بالقتال ضد الفرس وضد الروم.. صنع ذلك أهل العراق .. ونصارى الشام[١].. وأقباط مصر. وعندما حررت الجيوش الإسلامية بلادهم، حررت كذلك ضمائرهم من الاضطهاد الدينى، فتركوا – لأول مرة في تاريخهم – وما يدنون، وأصبحوا جزءاً من رعية الدولة الإسلامية، لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، وظلوا أغلبية غير مسلمة في بلادهم لعدة قرون، حتى دخل منهم من دخل في الإسلام دون إكراه، بل ودون ترهيب، وفى أحيان كثيرة دون ترغيب ! .. وبقى من بقى منهم على نصرانيته أو يهوديته أو زرادشتيته. وربما يفسر ذلك حقيقة أنه بعد قرن من الفتح الإسلامى، كان الذين دخلوا الإسلام من مصر وفارس وسوريا لا يزيدون على ٢٠% من السكان فالدولة، إسلامية و"الرعية" على دياناتها القديمة. لقد كانت مصر أكثر البلاد سرعة في التحول إلى الإسلام، ورغم ذلك إستغرق الأمر نحو القرن، وعندما جاءت سنة ١٨٤هـ

١ــ فى هذا السياق، يذكر الأستاذ أحمد أمين أمرا مخالفا، وهو أن نصارى الشام قد ساندوا الروم ضد العرب، وليس لدينا من الوثائق ما نؤكد به صحة هذا الرأى أو ذاك، غير ان موقف نصارى الشام، إن ثبت مساندتهم للرومان، يبقى إستثنائيا على القاعدة التى ذكرها د. محمد عمارة، وأكدها سير مونتجمرى وات ونقلناها عنهما. "الكاتب" .

٨٠٠م كانت نسبة الإسلام في مصر ٧٧% ونسبة النصارى ٢٢% واليهود ١% من تعداد السكان"[٤].

ولم ترو كتب التاريخ الإسلامى عن أى شخص يدين بدين إلهى أو وثنى فى الديار الإسلامية أنه أجبر على الدخول فى الإسلام. وكان من يسلم – فى العصور الإسلامية – ينبغى أن يعلن إسلامه أمام قاض وشهود ليثبت أنه أسلم حرا طواعية مختاراً لدين الإسلام. ويقول ابن العطار الأندلسى فى القرن الرابع الهجرى إنه لابد لإسلام نصرانى أو يهودى فى الأندلس من وثيقة يقدمها للقاضى وعليها شهادة شهود بأنه أسلم غير مكره وغير فار من شئ وغير متوقع لأمر، وأنه اختار الإسلام بعد أن وقف على شريعته، وعلم أنه ناسخ لجميع الأديان وأنه الدين الذى لا يقبل الله سواه، وأنه أسلم على يد فلان القاضى أو صاحب الشرطة أو صاحب المدينة أو صاحب السوق أى المحتسب.[٥]. وهنا يعترف مونتجمرى وات بأن الغرض من الجهاد : "لم يكن تحويل أهل البلاد المفتوحة عن دياناتهم إلى الإسلام، وإنما إخضاعهم للحكم الإسلامى باعتبارهم من أهل الذمة. وبالتالي فإن الجهاد قد أدى – عسكرياً – إلى توسيع رقعة الدولة الإسلامية، غير أنه لم يؤد بصورة مباشرة إلى تحويل شعوب الأقطار المفتوحة عن دينها"[٦].

ويضاف إلى ذلك أن الإسلام قد انتشر بشكل واسع فى مناطق لم يصل إليها جنوده ولا سيفه من الأصل، وخاصة فى أسيا الشرقية وإفريقيا حيث يبلغ عدد المسلمين بهذه البلدان نحو ثلاثة أرباع المسلمين فى العالم أو يزيد من دون معارك كبرى أو وقائع حاسمة يذكرها التاريخ بين المسلمين الأوائل أو المتأخرين وبين شعوب هذه البلدان، إذ اقتصر التفاعل بينهما على التجارة واللقاء الشخصى. وبرغم تلك الحقائق الواضحة، ظلت قضية الجهاد بمثابة إشكالية كبرى لدى الوعى الغربى، ربما زاد من عمقها فى الحقبة المعاصرة دافعان أساسيان :

أولاً: قياس الإسلام إلى المسيحية

من البديهى أن بين الأديان الكتابية فروق موضعية لابد من ملاحظتها.. **فاليهودية** مثلا لم تكن سوى دين مغلق، لا يسعى إلى الانتشار، ولا يدعى العالمية بأي نوع أو شكل أو قدر. بل كانت أشبه بالعصبية المحصورة في أبناء

إسرائيل بالدم وتحديدا بالميلاد من الأم، منها بالدعوة العامة لجميع الناس. ربما أراد اليهود أن يحكموا العالم كـ "سادة" مختارين لهذا النوع من الهيمنة، ولكنهم لم يتصوروا أنفسهم أخوة للإنسانية كلها، يسعون إليهم بما يظنون فيه خيرهم وسعادتهم كما فعل الإسلام، وجاهد نبيه تبليغا لرسالته إلى الناس.. كل الناس. وبرغم ذلك فإن الأنبياء بعد موسي عليه السلام كونوا الجيوش وخاضوا الحروب، وفاخروا بانتصاراتهم، وتألموا لهزائمهم، وخاصة الأنبياء المحاربين داود ثم سليمان في حروبهما مع الكنعانيين التى يقصها كتاب اليهود المقدس، وكذلك حروب يشوع. وقد ذكر القرآن في سورة البقرة معركة داود وجالوت. وعندما وقعوا فى السبى طال إشتياقهم الى نبى "ملك" يقودهم الى إستعادة ملكهم.

وقد دفع هذا الشوق النفوس الدموية التى كتبت أسفار العهد القديم في ظل محنة السبى البابلى الى اختراع إله دموي متعطش للارتواء بدماء كل الأمم والشعوب غير اليهود وتحريم، أى إبادة، كل مكونات الحياة لدى كل الأمم والشعوب فكتبوا في سفر حزقيال إصحاح ٣٩: ١٧-١٩: "هكذا قال السيد الرب: قل لطائر كل جناح ولكل وحوش البر. اجتمعوا وتعالوا احتشدوا من كل جهة إلى ذبيحتى التى أنا ذابحها لكم، ذبيحة عظيمة على جبال إسرائيل لتأكلوا لحماً وتشربوا دما. تأكلوا لحم الجبابرة وتشربوا دم رؤساء الأرض، كباش وحملان وأعتدة وثيران كلها من مسمنات باشان. وتأكلون الشحم إلى الشبع وتشربون الدم إلى السكر من ذبيحتى التى ذبحتها لكم". وكتبوا كذلك – في سفر إشعيا، إصحاح ٣٤: ١ – ٦: " اقتربوا أيها الأمم لتسمعوا، وأيها الشعوب أصغوا لتسمع الأرض وملؤها المسكونة وكل نتائجها. لأن للرب سخطاً على كل الأمم وحُموًا على جيشهم. قد حرمهم دفعهم إلى الذبح. فقتلاهم تطرح وجيفهم تصعد نتانتها وتسيل الجبال بدمائهم. ويغنى كل جند السماوات .. للرب سيف قد امتلأ دماً" !![٧].

أما المسيحية فقد تطورت مع بولس فى اتجاه الديانة العالمية تجاوزا لأفق المسيحية ــ اليهودية الضيق، ولكنها من ناحية أخرى افتقدت للشمول الضرورى، المطلوب لدين عالمى، فمالت الى عالم الغيب على حساب عالم الشاهد، إذ عنيت أساسا بالآداب والأخلاق، ولم تعن مثل هذه العناية بالمعاملات

ونظام الحكم، فالسيد المسيح جاء مؤيدا لشرائع العهد القديم ولم يجئ مبطلا لها أو معطلا لأحكامها: "جاء متمما للناموس ولم يجئ هادما للناموس، وكان العالم من حوله مكتظا بالشرائع الدينية والدنيوية: للهيكل شرائعه من أراد أن يتبعها ويعمل بها فذلك إليه. وللدولة شرائعها من أراد أن يتبعها ويعمل بها فذلك إليه. ومن هنا استطاع المسيح أن يقول للذين تعمدوا أن يحرجوه في مسألة الضرائب: "أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله" ... فلم يجد من لوازم رسالته أن يثور على شرائع الدين. ولما جاءه المكابرون من اليهود بالمرأة الزانية ليأمر برجمها ويصطدم من ثم بسلطان الهيكل رد عليهم كيدهم بإحراجهم كما أحرجوه. فقال لهم: "من لم يخطئ منكم فليرمها أولا بحجر". فلم يقل أن حكم الرجم باطل ولم يأمر به فيقيم الحجة عليه لأصحاب السلطان في هيكل العبادة والشريعة، وكانت ثورته في لبابها ثورة على الرياء في دعوى الأمناء على الشريعة الدينية، ولم تكن ثورة على الأحكام والنصوص كما وردت في كتب العهد القديم" [٨]. فما كان الناس إذن عند ظهور السيد المسيح بحاجة إلى الشرائع والقوانين، لأن شرائع اليهود وقوانين الرومان كانت حسبهم في أمور المعاش كما يتطلبها ذلك الزمان، وإنما كانت آفتهم فرط الجمود على النصوص والمراءاة بالمظاهر والأشكال، فكانت حاجتهم إلى دين سماحة ودين إخلاص ومحبه، فبشرهم السيد المسيح بذلك الدين. فعيسي هو القائل : إذ ضربك شخص على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر، وهو قانون لا يتفق وحياة الناس القائمة على الأنانية والظلم، ويؤدى بالشخص إلى قبول الهوان، وقد أخذ به عيسي ثلاثة أعوام مدة رسالته التى كانت حياة محن وآلام تحملها من معاصريه اليهود، وانتهت – في اعتقاد المسيحيين – بصلبه.

وقد دعمت قرون الاضطهاد في الأيام الأولي للكنيسة صورة المسيح مصلوباً، وتركت أثراً عميقاً على الروح المسيحية. وهكذا شعر المسيحيون منذ البداية أن عليهم العزوف عن "الدنيا"، ومن ثم كانت دعوة المسيحية إلى الزهد في الحياة زهدا يؤول بالمخلص لها إلى اعتزال العالم. وكان من الطبيعي في هذا السياق أن أصبح تحدى المؤسسة السياسية أو الانفصال عنها فضيلة. وفي عصر الشهداء أصبحت التجربة الدينية العظمي هى المعاناة والموت في سبيل المسيح، برهاناً حياً على رفض القوى الدنيوية. وأصبحت الفكرة المسيحية

القائلة بأن المعاناة تعظيم لشأن البشر، وتغيير لهم، مصدر إلهام ومواساة لملايين التعساء. لكن تلك الفكرة أيضا أسئ استخدامها، إذ شعر المسيحيون أن من واجبهم احتمال الاضطهاد والظلم، إذ أن الله يساند نظاماً هرمياً يجلس الغني فيه في قصره بينما ينتظر الفقير عند الباب، حيث إن المعاناة والاضطهاد في الدنيا سيكون لهما أجرهما في الآخرة. ومن ثم فقد كان هناك ميل حاد قوى في الغرب المسيحي للنظر إلى النشاط السياسي كشئ خارج نطاق الحياة الدينية، ولم يكن المسيحيون يرون النجاح الدنيوي انتصاراً روحياً[٩].

وأما الإسلام فظهر وقد تداعي ملك الرومان، وزال سلطان الشرائع الإسرائيلية، وكان ظهوره بين قبائل على الفطرة لا يمكن أن تترك بغير تشريع في أمور الدنيا والدين. فخلافاً لعيسي، لم يتمتع محمد برفاهية الميلاد في "عالم يسوده السلام". وبينما كانت رحلات القديس بولس التبشيرية الطويلة تتم فى ظل السلام الذى كانت توفره الإمبراطورية الرومانية التى كانت تفرض نوعا من السلام والأمن الاجتماعي ولو بطرق وحشية، كان دم الشخص العربى الذى لم تكن تتوفر له الحماية "القبلية" محلا في الطريق. وفي البداية، كان محمد يصر على أنه غير ذى دور سياسي، رغم أنه – مثله مثل الأنبياء اليهود – كان يبشر برسالة للعدالة الاجتماعية، لكنه حينما دعي للهجرة إلى المدينة بدأ يكون فكرة عن مثال لوحدة عربية لا تتحارب في ظلها القبائل بل تتوحد في شكل مجتمعي جديد، أى انه في تلك الآونة كانت هناك حاجة ملحة لحل سياسي جديد [١٠]. ومن ثم فالسياسة لها أهميتها المبدئية في الإسلام، لأن المشروع الإسلامي هو محاولة لخلاص التاريخ من الانحطاط والفوضي الحتمية التى تنجم عن غياب قوانين العدالة والمساواة. ولو أن الرسول أخذ بمبدأ عيسى المفرط فى السلم ما كان الإسلام تعدى المدينة، ولا دخلت فيه مكة ولا توحدت القبائل العربية في أمة تحت لوائه، ولا تكونت – فيما بعد – الإمبراطورية الإسلامية ولما أصبح دنيا عالميا. وعجب أن يطلب المسيحيون الغربيون من رسول الإسلام أن يظل بمكة، ويتقبل اضطهاد قريش وظلمها له ولأتباعه، لأن صاحب الدين والداعي له في رأيهم ينبغي أن يتحمل إلي أقصي حد الاضطهاد والظلم والأذى الشديد وأن يصبر كما صبر عيسي متحملا الآلام إلى النهاية دون أن ينتصر دينه في حياته، ولكن بالصدفة وبعد رحيله عن طريق بولس وأصحابه. أما محمد فقد

انتصر الإسلام في حياته، وأخرج به العرب من حياتهم القبلية الوثنية إلى حياة أمة مجتمعة آمنت بوحدانية الله وبالإسلام وتعاليمه ومضت عن إيمان لا يماثله إيمان تحاول نشره وإبلاغه إلى الأمم في العالم.

ومن ثم فعندما يطرح الجهاد الإسلامى على انه المقابل الإسلامي للحروب الصليبية، ويُنظر الى اللفظين على أنهما مترادفين، فليس ذلك إلا من قبيل القياس الخاطىء. ولعل تشابها ظاهريا يجمعهما من زاوية أن كلاهما أُعلن وشُن على أنه حرب مقدسة من أجل نشر العقيدة الصحيحة. ولكن ثمة تناقض أصيل بينهما، فالحروب الصليبية تعد تطوراً متأخراً فى التاريخ المسيحى، وابتعاداً جوهرياً عن القيم المسيحية الأساسية كما جاءت فى الأناجيل. أما الجهاد الإسلامى بمعناه الحضارى الشامل، فقد كان بنيويا فى صلب دين عالمى شامل يسعى الى إعادة تأسيس التاريخ. ومن ثم نجد أن أعنف نزعات القتل والحرب نتجت عن المسيحية فى تطورها التاريخى بغض النظر عن نصوصها المثالية، أو دعوة نبيها الروحية، فالمسيرة التاريخية للمسيحية تبدو بمثابة انحراف عن أصل نقى، بعكس الجهاد الذى مثل تجسيدا واقعيا مباشرا لأصل، لا يتمتع ربما بالروحانية المسيحية المفرطة، وإنما بالشمول والواقعية.

وربما يفسر هذا الفهم الطابع البراجماتى للجماعة المسيحية، والتى لم تلجأ إلي السلم إنكاراً للحرب، لأنها لم تكن في طاقتها، وما كانت بقادرة عليها، فقد كانت فئة قليلة من الفقراء لا معرفة لهم بالحرب في مجتمع يدين لروما بالولاء ولجند روما بالسلطة، فآثرت المسالمة وتخفت بالدعوة حتى لا يقضي عليها في مهدها، وظل المسيحيون الأوائل يتخفون في دعوتهم قروناً طويلة، حتى اعتنق قسطنطين المسيحية فقويت شوكتهم وأنزلوا بخصومهم من ألوان البطش والقسوة ما أنزلوه بهم من قبل، ولم يشفع فيهم سماحة المسيحية ولا ما دعا إليه المسيح عليه السلام من الحلم والصفح.

وعلى سبيل المثال أخذت النصرانية الرومانية، بدعم من النصرانية المصرية تمارس الاضطهاد ضد الوثنية المصرية: " فهدمت معابدها، وسحلت وذبحت فلاسفتها، وأحرقت مكتباتها، وعبثت بالآثار المصرية عندما حولت بعضاً منها إلى كنائس وأديرة .. حتى لقد قاد الأسقف "تيوفيلوس" الذى تولى البطريركية المصرية ما بين سنة ٣٨٥م وسنة ٤١٢م، حملة اضطهاد عنيفة

ضد الوثنيين، واتجه للقضاء على مدرسة الإسكندرية وتدمير مكتبتها وإشعال النار فيها .. وطالت هذه الإبادة مكتبات المعابد وتم السحل والحرق لفيلسوفة الأفلاطونية الحديثة، وعالمة الفلك والرياضيات "إناتية" [٣٧٠ – ٤١٥م] . وذلك فضلاً عن تحطيم التماثيل" (١١).

ثم ما لبث هذا الإنكار وذاك الاضطهاد أن أعملا قانونهما وسيوفهما في النصرانية نفسها – بعد اختلاف المجامع النصرانية حول طبيعة المسيح عليه السلام – فمارست النصرانية الرومانية "الملكانية" الإنكار والاضطهاد ضد النصرانية المصرية "اليعقوبية" فهرب النصارى المصريون إلى الصحارى والمغارات والكهوف.. وهرب رأس الكنيسة المصرية "بنيامين" [٦٢٣ – ٦٦٢م] ثلاثة عشر عاماً، حتى استدعاه وأمّنه وأكرمه، وحرر كنائسه وردها إليه قائد الفتح الإسلامي "عمرو ابن العاص [٥٧٤ – ٦٦٤م] فاتحا بذلك أولى صفحات كتاب السماحة والتسامح في تاريخ مصر والمصريين !" (١٢).

ويفسر كذلك حقيقة تاريخية أخرى، وهى أن العالم المسيحى قد فقد أراض شاسعة لصالح الحكم الإسلامي، ومع ذلك كانت الحروب الصليبية متأخرة جدا إذ لم تبدأ إلا فى اللحظة التى ظنت فيها أوروبا المسيحية أنها قادرة على النيل من عالم الإسلام، رغم أن هذا العالم كان قد توقف عن الفتح والتمدد قبل ذلك بقرنين على الأقل، فالمسيحيون إذن ــ ولا نقول المسيحية ــ حاربوا لا عن تصور رسالى عميق، ولا عن رغبة فى التصدى لما تصوروه عدوانا عليهم، بل حاربوا حينما تصوروا قدرتهم على العدوان، من دون أن يحرموا أنفسهم من رفع لافتات أخلاقية دينية أو فلسفية لعدوانهم سواء فى زمن الحرب الصليبية عندما كان الدين فاعلا، أو فى زمن الحداثة عندما صارت دعوى تحضير العالم جاذبة.

ومن وجهة النظر التاريخية البحتة نجد أن كلتا الديانتين قد حاربتا، وتحاربتا، ولكن بينما حارب المسلمون، من موقف مبدئى توازنى وإن وصفه برنارد لويس بأنه: "أكثر براجماتية عن الإنجيل فى نظرته للعلاقات بين المجتمع والدولة" وأرجعه إلى "المشاركة السياسية والعسكرية لمؤسسه". ورآه : "أقرب لما ورد فى الأسفار الأولى من العهد القديم وإلى مذهب ضرب العماليق بشدة منه الى مواقف الأنبياء والأناجيل، إذ لم يؤمر المسلمون بأن يديروا خدهم

الآخر ولا هم يتوقعون أن يحرثوا الأرض بسيوفهم أو يحيلوا سهامهم الى مناجل يزرعون بها الأرض. (اليشع ٤:٢) " [١٣]. فإن المسيحيين قد حاربوا أيضا وإنما ضد روح دينهم فما أُمر به المسيحيون من ذلك كله لم يمنعهم فى الحقيقة، من شن سلسلة من الحروب الدينية الدامية داخل العالم المسيحى ومن شن الحروب العدوانية فى الخارج.

ولعل موقف الإسلام التوازنى، والذى كان حاضرا منذ البداية سواء فى النصوص المقدسة، أو فى حياة النبى وأفعال صحابته وخلفائه الأولين، يتجاوز حقيقة وفعلا مجرد وصف "البراجماتية" بدلالته الضيقة لدى لويس الى فلك "الواقعية والشمول" اللتين تسمان الروح الإسلامى تجاوزا لروحانية المسيح، ودموية الأنبياء اليهود فى آن، حيث اشتبك محمد "ص" مع الواقع العربى الوثنى هادفا الى تغييره، وبدلا من أن يكون الإسلام دينا سلبيا، أو يكون محمد نبيا زاهدا، صوفيا، منعزلا يقصر إيمانه على نفسه، ويبقى خلاصه شأنا لذاته، ويدير الخد الآخر للظالمين، كان هو الدين الذى قاتل الطغيان والظلم والشرك لكى يصلح مسار التاريخ نحو الأفضل، ويحقق الخلاص للجميع، والعجب أنه لذلك وصف بالدموية، ولقب الإسلام بدين السيف كعقيدة تخلت عن الروحانية الحقه وكرست للعنف وعدم التسامح، وكأن الوثنية والطغيان اللذان كانا سائدان فى القرن السابع الميلادى هما الوضع الإنسانى الأفضل والأكثر تسامحا، أو كأن المسيحية قد نجحت فى تقديم الخلاص العقلانى للبشرية كلها، أو حتى نجحت فى الحفاظ على جوهرها التوحيدى، فلا شك أن الاعتقاد فى هذا أو ذاك ليس إلا تشويها للحقيقة التاريخية.

ثانياً: الإسقاط النفسى على النبى الكريم

تقدم الباحثة المنصفة فى تاريخ الأديان، كارين أرمسترونج تفسيرا نفسيا لرؤية الغربيين لشخص الرسول الكريم وللإسلام معا جوهره الرغبة فى الإسقاط النفسى على الإسلام، أى رمى الإسلام بأوجه القصور الأساسية فى الديانة المسيحية، أو فى الغرب فى كل لحظة تاريخية، فإزاء النجاح الساحق للرسول الكريم فى تبليغ الرسالة وتأسيس الأمة المسلمة فى حياته، عكس المسيح الذى لم يشهد ذلك الإنتصار فى حياته، ولم يتمكن من تأسيس أية أمة أو حتى شريعة راسخة تعترف بأن: "المسيحيين الغربيين لم يجدوا سبيلا إلى

تفسير الرؤية الدينية الرائعة والمقنعة التى أتي بها محمد، وإلى تبرير سر نجاحها، إلا بإنكار الوحي، ومن ثم نفي وجود مصدر مستقل لها، مما يعنى إن الإسلام كان في نظرهم مجرد فرقة خارجة على المسيحية، وهى بهذا تمثل بدعة البدع، وغاية المروق. فزعم فيما زعم أن رجلا يدعي سيرجيوس كان راهبا ثم أصبح مارقا ومن ثم أرغم على الفرار من بلدان المسيحية، وكان ذلك ما ينبغي له أن يفعل، ومن ثم ذهب إلى بلاد العرب وقابل محمدا ولقنه أصول الصورة المشوهة للمسيحية التى أتي بها". وإزاء شمولية الإسلام للعقيدة والشريعة معا، وتوفيقه بين العقل والإيمان، وجمع محمد "ص" نفسه بين النبوة والقيادة السياسية، كان الغربيون يقولون: " إن دين محمد "المحمدية" ما كان ليظهر على الدين كله إلا بحد السيف، وإن المسلمين لم يكن مسموحا لهم بمناقشة الدين مناقشة حرة في الإمبراطورية الإسلامية، وإن محمداً قد انتهي نهاية تعتبر جزاء وفاقا، إذ هجم عليه قطيع من الخنازير أثناء أحدى نوبات اتصاله بالجن فمزقوه إربا" (١٤).

وترد أرمسترونج مؤكدة : " إن بعض تفاصيل هذا الوهم تعكس بواعث قلق المسيحيين على هويتهم التى كانت قد بدأت تظهر، فالوصمة التى ألحقوها بالإسلام باعتباره "دين السيف" نشأت في إبان الحملات الصليبية، وهى فترة لابد أن المسيحيين فيها أحسوا بقلق دفين إزاء الصورة العدوانية التى اتخذتها عقيدتهم، وهى صورة لا علاقة لها برسالة الدعوة إلى السلم التى جاء بها المسيح" . أما التهمة الأخيرة المتعلقة بحظر مناقشة العقيدة فترد عليها بحقيقة أن الغرب لا الإسلام هو الذى حظر حرية مناقشة مسائل العقيدة فتقول: "في زمن الحملات الصليبية كانت "الوحدة الفكرية" غاية تتحرق أوربا شوقا إلى تحقيقها، حتى بدت من قبيل "النزعة المسيطرة"، وكانت أوربا تعاقب من يخرج عليها بحماس فريد في تاريخ الدين" (١٥). ونزيد عليها من جانبنا حقيقة أن الجدل حول العقيدة تم تحريمه قبل الحروب الصليبية بسبعة قرون تقريبا ومنذ مجمع أفسس عام ٤٣١م الذى صاغ العقيدة الرسمية، وحدد الأناجيل الصحيحة، واعتبر ما عداها باطلا، ومن ثم كانت هناك دوما العقيدة الأرثوذكسية، في مقابل الهرطقة، وكانت هناك الأناجيل الصحيحة في مقابل المزورة.

وترسم الباحثة البريطانية صورة دالة على حالة الشيزوفرينيا الثقافية التى أصابت الوعى الغربى فى موقفه هذا من محمد (ص) والإسلام يبرز فيها الإمبراطور "الروماني المقدس" فريدريك الثاني، وشاعر النهضة الإيطالى الكبير دانتى فتقول: "كان الإمبراطور الرومانى فردريك الثانى محباً للإسلام، وكان يجد من الانتماء النفسي الحقيقي في العالم الإسلامي أكثر مما يجده في أوروبا المسيحية، ولكنه كان، على ذلك، لا يكف عن قتل المسلمين وترحيلهم من بلده صقلية. والغريب أنه في الوقت الذى انقض فيه المسيحيون على المسلمين يذبحونهم في الشرق الأدني كان آخرون يجلسون لتلقي العلم عند أقدام علماء المسلمين في أسبانيا، وكان العلماء المسيحيين واليهود والمستعربين يتعاونون في مشروع ترجمة جبار لنقل معارف العالم الإسلامي إلى الغرب واستعادة الحكمة الكلاسيكية القديمة التى فقدتها أوربا في العصور المظلمة، وكان الفيلسوفان المسلمان ابن سينا وابن رشد يحظيان بالتبجيل باعتبارهما من نجوم الفكر الساطعة، ولو أن الجمهور كان يواجه صعوبة متزايدة في تقبل كونهما من المسلمين. وقد وجدت المشكلة أبلغ تعبير عنها في ملحمة الكوميديا الإلهية لدانتي، التى تصورهما ــ أى إبن سينا ، وابن رشد ــ في البرزخ " أى في الأعراف " مع فضلاء الوثنيين الذين أرسوا أسس الثقافة الفكرية و عانوا الغرب على اكتسابها، مثل اقليدس وبطليموس، وسقراط، وأفلاطون، وأرسطو، ولكن دانتي يصور محمدا في الفلك الثامن للجحيم، مع أرباب الفتنة التى أحدثت الانشقاق الديني، ويصوره في عذاب مهين"..!. (١٦).

ولعلى أزعم هنا بأن الموقف الغربى من الإسلام ونبيه لا يزال أسيرا لحالة الفصام هذه حتى اليوم، حيث تلهو الكتب وبرامج التليفزيون بإبراز عناوين مثل"حنق الإسلام"، و"سيف الإسلام"، و"الحنق المقدس"، و"الرعب المقدس" وخاصة منذ الثورة الإيرانية فى وصف حال العالم الإسلامى المعاصر، وجميعها أوصاف لا تجد من الحوادث ما يبررها اللهم سوى إحداث ١١ سبتمبر بفرض أن القاعدة هى الفاعل، بينما تحتل الولايات المتحدة فعلا عدة بلدان إسلامية فى الوقت نفسه، فهى فى العراق تدمره وتكاد تقود إلى تفكيكه، وهى فى أفغانستان للسيطرة على نفط وسط أسيا، وهى تهدد بالحرب ضد إيران لأنها تجرأت وامتلكت تكنولوجيا نووية لم يثبت قطعيا هدفها

العسكرى، وهى تسمح، والغرب من خلفها، لإسرائيل بتكسير عظام الفلسطينيين، وحرق الوطن اللبنانى، والمفارقة أن ذلك كله يتم بذريعة "محاربة الإرهاب" ! . التى لا تعدو فى هذا السياق مجرد إسقاطا ذرائعيا على الإسلام.

ثالثاً: ذبول الحس التاريخى

لا نستطيع فهم أغلب النقد المعاصر الموجه إلى الجهاد فى الإسلام، إلا بكونه نابعا من نزعة التمركز فى الفكر الغربى الحديث، تلك التى بدأت تتشكل منذ القرن الثامن عشر، وبلغت أوجها فى القرن التاسع عشر، ثم فى القرن العشرين وصارت تحاكم التاريخ كله بمعاييرها هى، وتقيس الآخر، كل آخر إلى ذاتها وتخضعه لمقاييسها، فكان نصيب الإسلام أن يحاكم بمعايير القرن العشرين ادعاء بالحكمة على التاريخ وبأثر رجعى. وذلك من دون إدراك عميق لدور البيئة التاريخية فى الحكم على مدى تقدمية الأفكار والأديان والمواقف، والأدوار. وكذلك لحقيقة أن كل دين يمتلك عبقريته الخاصة، أو بصيرته المميزة فى بحثه عن معنى أو عن قيمة كلية تحقق وجوده فى التاريخ. وقد كانت عبقرية الإسلام فى جمعه التوفيقى الوسطى بين الدين والدنيا، وبين الفكر والعمل، وقد نشد تجسيد هذه العبقرية فى زمانه، وترك لها الباب مفتوحا على التاريخ يمدها فيه علمائه ومفكريه بالنظر والاجتهاد وعدم القعود عند التقليد والاجترار.

وعبر نزعته التوفيقية العميقة تمتع الإسلام بحيوية فائقة ظلت مستمرة حتى الآن فى الدفاع عن الحضارة العربية التى كان أسسها قبل أربعة عشر قرنا، ولا تزال حتى اليوم بكل قرائحها وموروثاتها وملامحها المختلفة، مجرد انعكاسات له كعقيدة وشريعة وممارسة تاريخية أينعت طويلا وهيمنت كثيرا، وكانت هى الحضارة الوحيدة فى التاريخ - منذ الإسكندر المقدونى على الأقل- التى تمكنت من أن تضع الغرب/ الأوروبى/ المسيحى فى حجمه وأن تغلق عليه حدوده وأن تجعله لا ينام إلا مرتعدا، ولا يصحو إلا قلقا لنحو أربعة قرون على الأقل. غير أن ذلك قد حدث إبان كان الفتح حقا مكفولا، والحرب أمرا مقبولا، والإقطاع العسكرى واقعا مشهودا، ونماذج البطولة الإنسانية لا تتجسد سوى فى السيف والفارس إما قاتلا أو مقتولا، ولم يكن ثمة معنى لسيادة الدول أو حتى مسماها، فلم يكن التاريخ قد نضج بما يكفى لينتج وعينا الجديد عن

مفهوم السيادة وعن الدولة القومية وعن الديمقراطية وحق تقرير المصير وشرعة حقوق الإنسان أو قوانين الحرب التى جعلتها أمرا محرما ما لم تكن دفاعية، وفى المقابل كان العرف وحده هو الذي يحكم العلاقات بين الأمم والجماعات. وكانت مصلحة الغالب هي التي تكيفها وتضع لها القواعد والأصول. والجماعات السياسية من القبيلة إلى الولاية وحتى الإمبراطورية لم يكن ممكنا لها أن تبقى فى حال ثبات من دون قتال إذ هى دوما فى كر للتوسع، أو فر خشية الهزيمة على النفس والعرض. فقد كان القتال عملية حيوية أشبه بالشهيق والزفير.

ولعل السؤال الجاد الذى يمكن طرحه هنا هو: كيف يتعامل الإسلام، بعد نضوج التاريخ على هذا النحو المشهود الذى أنتج كل المفهومات السابقة، وكرس تجريم الحرب العدوانية، وصاغ قوانين راسخة للعلاقات الدولية. باختصار كيف يمكن النظر الى مفهوم الجهاد الحضارى الإسلامى فى ضوء القانون الدولي المعاصر للحرب، على أساس من الآيات القرآنية وحدها؟. ولعلى أجازف هنا بالقول بأن "مفهوم الجهاد العسكرى" قد تقادم فى الزمن، ولم يعد له ما يبرره فى ضوء واقعنا المعاصر، الذى شهد أمرين أساسيين كلاهما بمثابة انقلاب تاريخى :

أولهما هو ما أسلفناه عن نضوج قواعد مستقرة راسخة للعلاقات بين الدول، وتشريعات حاكمة ومقننة لمفهومى السيادة والقومية، بل والحرب ذاتها أصبح لزاما على كل العالم المعاصر أن يحترمها كأساس للسلم العالمى، وألا استحال العالم دما ودمارا.

وثانيهما يتعلق بمدى التقدم التقنى والفضائى والإعلامى، ونمو حريات التعبير والتفكير واستقرارها كمبادىء أساسية فى شتى المجتمعات المتمدينة، إلى درجة جعلت معارضيها على هامش التاريخ. ومن ثم تتيح هذه الحريات جميعا إمكانية لا محدودة للتبادل الثقافى والمعرفى، والمشاهدة عن قرب لمسارات التطور الحضارى بين المجتمعات الإنسانية، ومن ثم صارت عمليات التثاقف ميسورة، وشتى الأديان والفلسفات والمعارف متاحة للجميع، وفى قلبها الإسلام الذى صارت معرفته عند كل الشعوب ممكنة، ولم يعد بحاجة الى قتال لإيصال رسالته إلى جماعة محاصرة، تقبع فى

جغرافية قصية من العالم المعمور، تسيطر عليها فئة حاكمة باغية لا مرد لسلطانها إلا بالقوة مثلما كان الأمر على عهد الرسالة.

إن هذين التحولين الانقلابيين قد قوضا الأساس الموضوعى للمكون العسكرى فى الجهاد الحضارى من ناحية، وفتحا باب المكون الثقافى على أشده من ناحية اخرى، أمام المسلمين الذين أصبحوا مطالبين اليوم – لأجل نشر الرسالة الإسلامية، واستكمال طريق الحق الشامل الذى خطه محمد "ص" – بامتلاك الكثير من المعرفة بالعالم فى كل المجالات، وتنمية القدرة على التواصل مع الآخرين، والأهم من ذلك القدرة على تجسيد شتى القيم الإسلامية والحضارية التى كرسها محمد "ص" فى نموذج للحياة له القدرة على الجذب والإلهام. وفى المقابل تمييز أنفسهم عن إرهاب القاعدة الذى يسعى إلى التوارى خلف الجهاد الإسلامى فى معناه الرائق الذى صاغ الحضارة الإسلامية الشامخة، والذى لم يكن ليؤذى الآخرين من غير المعتدين على العقيدة أو الأرض فى عالم الإسلام. وفى المقابل حشد كل قوتهم المنظمة فى وجه كل معتد أو باغ أو محتل على عقيدتهم وأراضيهم.

ويضع مفكر مسلم صياغة حديثة مقننة لرؤية الإسلام إلى العلاقات الدولية من عدة مقومات تستند إلي حق الدفاع عن النفس، نتفق معه حول أغلبها، الذى نوجزه في العجالة التالية[١٧]:

أ – من الواجب المفروض على الأمة الإسلامية أن تكون دائما مسلحة تسليحاً كافياً في أوقات السلام، وأن تكون على أهبة الاستعداد، وذلك لرد وصد أى عدوان طارئ، وليرتدع من يفكر في الاعتداء عليها، فيرهب بأسها وعاقبة عدوانه، وذلك عملاً بالآية الستين من سورة الأنفال: "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل، ترهبون به عدو الله وعدوكم، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم، الله يعلمهم، وما تنفقوا من شئ في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون".

ب – في حالة تورط دولتين حليفتين في الحرب، فيجب على الدولة الإسلامية الالتزام بنص المعاهدة مع الحليف، فلا تساعد الحليف وإن كان مسلماً، إذا كان ذلك يخل باتفاقيتها مع حليف آخر بينه وبينها اتفاقية سلام، حتى لو كان الطرف الحليف في اتفاقية السلام غير مسلم، وهذا في حد ذاته كان

تجديداً ثورياً أتى به القرآن في قوانين الحرب، تدل على ذلك الآيات التالية: "لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شئ إلا أن تتقوا منهم تقاة .." (آل عمران : ٢٨) . وقوله تعالي :" .. والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا، وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر، إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق، والله بما تعلمون بصير". (الأنفال: ٧٢) .

ج ــ المسلم ملزم بأداء الخدمة العسكرية، وملزم بالدفاع عن نفسه فيقول عز وجل شأنه : "وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم، ولا تعتدوا، إن الله لا يحب المعتدين" و"قاتلوهم حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين لله، فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين" و".. ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ..."البقرة : ١٩٠، ١٩٣، ٢١٧". وكذلك قوله تعالى ".. فضّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم ..." "النساء : ٩٥". وأيضا : " أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا، وإن الله على نصرهم لقدير". "سورة الحج : ٣٩".

د ــ إعلان الجهاد، أى مدافعة المعتدين وحربهم حرباً شاملة للدفاع عن الإسلام وحماه، ليس من حق أحد سوى الخليفة نفسه أو أمير المؤمنين. "ونتيجة لتغير الملابسات والمسميات، يكون ذلك من حق ولى الأمر أو الحاكم الزمنى".

هـ ــ لا يجوز أن يتحارب المسلمون مطلقا، كما نصت الآية الثانية والتسعون من سورة النساء: "وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ ..." . وإذا كان حدوث قتال بين فريقين من المؤمنين أمرا ممكنا واقعيا يكون واجب المسلمين الإصلاح بينهما كقوله تعالي " وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما" .. "الحجرات: ٩".

و ــ لا يجوز في الحرب قتل الأطفال وغير القادرين عن الاشتراك في الحرب من العجزة وأمثالهم، ولا يجوز الإتلاف الاقتصادي أو إبادة الغِلاّت ونحوها، مما يشكل مصدراً أساسياً للرزق.

ز ــ يجب قبول السلام إن أبدى العدو رغبة صادقة في ذلك، كما نصت الآية الحادية والستون من سورة الأنفال على ذلك "وإن جنحوا للسلم فاجنح لها، وتوكل على الله ..".

الهوامش

١ــ زاد المعاد ج ٢، ص١٣٠ . نقلا عن ابو الحسن الندوى، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص١٠٧.

٢ــ عباس محمود العقاد، عبقرية محمد، مرجع سابق، ص ٣٣.

٣ــ عباس محمود العقاد، عبقرية محمد، المرجع السابق، ص ٤٢.

٤- فيليب فارج، يوسف كرباج، المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامى العربى والتركى، ترجمة بشير السباعى، طبعة القاهرة سنة ١٩٩٤م ، ص٢٥، ٣٢.نقلاً عن: محمد عمارة، الغرب والإسلام، مرجع سابق، ص ١٤١ ــ ١٤٢.

٥- د. شوقى ضيف، عالمية الإسلام، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ١٧.

٦- و. مونتجمرى وات، فضل الإسلام على الحضارة الغربية، ترجمة د. حسين أمين، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م، ص١٥.

٧- د.محمد عمارة، الغرب والإسلام، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م، ص ١٢.

٨- عباس محمود العقاد، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، مرجع سابق، ص ٨٧- ٨٨.

٩- كارين أرمسترونج، سيرة النبى محمد، مرجع سابق، ص ٢٤٧- ٢٤٩.

١٠- كارين أرمسترونج، سيرة النبى محمد، المرجع نفسه، ص ٢٤٩.

١١- د.صبرى أبو الخير سليم، تاريخ مصر في العصر البيزنطى، طبعة القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٤٠، ٤١.

١٢- د.محمد عمارة، الغرب والإسلام، مرجع سابق، ص٣١.

١٣- برنارد لويس، الإسلام وأزمة العصر: حرب مقدسة وإرهاب غير مقدس، مرجع سابق، ص ١٥٥.

١٤ ــ كارين أرمسترونج، سيرة النبى محمد، مرجع سابق، ص ٤٠

١٥- كارين أرمسترونج، سيرة النبى محمد، مرجع سابق، ص ــ ٤١.

١٦- كارين أرمسترونج، سيرة النبى محمد، المرجع نفسه، ص ٤٤.

١٧- د. مراد هوفمان، الإسلام كبديل، مرجع سابق، ص ٢٣٥ ــ ٢٣٧.